(من كتاب الحجّ وروح العبادة فيه)

(٢٢)

الحَجُّ وَتَذَكُّرُ الآخرة

(عبر ودروس)

تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اللهُ تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾[1].

جاء هـذا الأمر في خاتمة آيات الحَجِّ في سـورة البقرة، موجبًا لتقوى الله، مُذَكِّرًا بالرجوع إليه سبحانه، وهي من أعظم القضايا وَأَجَلِّ الوصايا.

وَلَئِنِ انتَهى الحُجَّاجُ مـن حَجِّهِم، وَتَهَيَّؤُا للعودة إلى أهليهم، فـإن اسـتصحابَ تقوى الله علـى الدَّوامِ مِـن أعظم مـا ينبغي أن يكونـوا عليه، ويَتَزَيَّنُوا به في حياتهم كُلِّها، مُتَذَكِّرِينَ حَشـرَهُم إلى ربهم، وعودتهم إليه.

والحجُّ نموذج مُصَغَّرٌ لحياة الإنسـان، فالعبـد يأتي إلى الدنيا ويلبـث فيها زمنًا قد قضاه الله له، حتـى إذا ما انتهى رجع إلى ربه

(١) [سورة البقرة: آية ٢٠٣]

وإلى داره الحقيقية، وهكذا الحَجُّ يُمضِي المرءُ فيهِ أَيَّامًا ثم يرجع إلى أهله.

والله قد جعل الدنيا دارَ عَمَلٍ وَتَحصِيلٍ، وَجَعَلَ مَدَارَ الحِسابِ وَالجَزاءِ على ما حَصَّلَهُ فيها المرءُ، فإذا رَجَعَ إلى ربه حُوسِبَ وَجُوزِي عليه، وكذلك الحَاجُّ تَرَكَ أَهلَهُ وَوَطَنَهُ بُغيَةَ الأجرِ والثَّوابِ، ثمَّ ها هو يرجعُ إليهم، بعد أن بذل جُهدَهُ في العمل الصالح وَتَقَرَّبَ إلى ربه.

ويشير قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [1] إلى القضية الكبرى والتي اختلف عليها الخلق، (وهي: البعث والنُّشور والرُّجوع إلى الله للحساب والجزاء) فالكُفَّارُ يُنكِرُونها، وأهلُ الإسلام يُوقِنُون بها يقينًا كاملاً، وهذا الحَجُّ نموذج مُصَغَّرٌ لهذه القضية، وبُرهانٌ على وُقُوعها وَحَتمِيَّتِها، فكما اجتمع الناس في حَجِّهم في صعيدٍ واحدٍ على صعيدِ عرفات، ومزدلفةَ وباقي المناسك، فكذلك يَجتمعون ويُحشَرون إلى ربهم يوم القيامة.

(١) [سورة البقرة: آية ٢٠٣]

وجعل الله الحَجَّ اجتماعًا مُصَغَّرًا لِحَشرِ الآخرة -مع التباين الكبير-، فالخلقُ يجتمعون في مكانٍ واحدٍ، وزمانٍ واحدٍ، ولباسٍ واحدٍ، ولكنْ بأحوالٍ مختلفةٍ، وقلوبٍ متمايزة، وأعمالٍ مُتباينةٍ، والله عليمٌ بحال كل واحد منهم، فكذلك يوم الحشر إلى الله، يجتمع النَّاسُ في مكانٍ واحدٍ، وزمانٍ واحدٍ، إلا أنَّ الله في ذلك اليوم يُظهر تمامَ مُلكه، وتَفَرُّدِه به، وسعةَ عِلمه، وكمال قُوَّتِه، ونَفَاذَ أَمرِه، وإذعانَ الخلقِ له، وذِلَّتَهُم بينَ يَدَيه.

وفي الحَجِّ يجتمع النَّاسُ بقصدٍ واحدٍ فقط، وهو طلب الأجر من الله تعالى، بلا زينة ظاهرة وَلا تَرَفُّهٍ كامل، ولا حرصٍ على تكميلِ مطالبِ الجسد وَمَلَذَّاتِ البدن، وكذلك في الآخرة يجتمعون ليُجازِيَهُم اللهُ على أعمالهم، ويُحاسِبَهُم على ما قَدَّمَتهُ أَيدِيهم، ولا يَلتَفِتُون لِشَيءٍ إلا لِلعمل.

إِنَّ من مقاصد الحَجِّ الكُبرى تذكيرَ العبد بالدار الآخرة، لأَنَّها هي الدار الحقيقة، والموطن الأصلي للعباد، والمُستَقَرُّ الأخير لهم، إِمَّا إلى الجَنَّةِ -جعلنا الله من أهلها-، وإِمَّا إلى نارٍ -تَلَظَّى أجارنا الله منها-.

فَيَا لله كم في الحَجِّ من دروس وعِبَرٍ وعِظَاتٍ لو وَعَتها القلوب والأفئدة.

وتَذَكُّرُ الآخرةِ يَحمِلُ النفس على الطاعة، ويَحُثُّها على العمل لها، وَمَن سكن في قلبه حقيقةُ الآخرة، فقد سَكَنَ في قلبه الخَيرُ كُلُّهُ.

ومِن توفيقِ الله لعبده أن يجعلَ هَمَّهُ الآخرة، فتراه يعمل لها، ويعتني بشأنها، ويستعدُّ لها، حتى إذا ما فجأه الموت كان مُستَعِدًّا له.

(نزلت سكرات الموت بأحد الصالحين، فبكى عندَهُ وَلَدُهُ، فقال له: يا بُنيَّ لا تَبكِ؛ فَإِنَّ أَباكَ مُنذُ أَربَعينَ سنةً قَد استَعَدَّ لهذه اللَّحظَة) فأين هذا مِن حال مَن إذا نزل به المَوتُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [1] فقد كان مفرِّطًا في حياته، مُسَوِّفًا في عمله، قد غلبه طول الأمل، وغرَّته الدنيا وزُخرفُها، وظَنَّ المِسكينُ أَنَّ عُمُرَهُ طويل، وكأَنَّهُ يُستشارُ عند موته، ولم يَعتبر بمن حوله ممَّن

(١) [سورة المؤمنون: الآيات ٩٩-١٠٠]

خُطِفَت أَروَاحُهُم في مقتبل أعمارهم، فَحَرِيٌّ بمن وُفِّق للحَجِّ، وها هو يستعِدُّ للرجوع إلى أهله أن يكون مُستَعِدًّا للنُّقلَةِ من الدنيا إلى الآخرة، وأن يكون مُتَهَيِّئًا للرَّحيل في أي لحظة، وأعظم ما يستعد به المؤمن أن يكون مُؤَدِّيًا لفرضه وما أوجبه الله عليه، مُبتَعِدًا عن الذنوب غَيرَ مُصِرٍّ عليها، فمثل هذا تُرجى له النجاة.

اللَّهُمَّ اختِمْ لنا بخير، واجعل عاقبةَ أُمُورِنا إلى خير.

❊❊❊